

تمهيد

الحاجة إلى ترجمة شري أوروبيندو والأم إلى العربية

مرّ شري أوروبيندو في أوائل القرن الماضي، في الهند، بتجارب حاسمة تبلورت في رؤية جديدة للإنسانية، وفي نفس الوقت تقريرًا نضجت رؤية مماثلة في ذهن الأم في باريس، حيث كانت تقيم آنذاك. رأيا كلاهما، دون أن يعرف أحدهما الآخر، إشراق وعي جديد يوحد الإنسان مع الوجود كله ويُحوله إلى كائن أكثر سموًّا وعلماً وتحكماً في نفسه، وبذلك يحوّل الحياة على الأرض تدريجياً إلى "حياة إلهية"¹. التقت الأم بشرى أوروبيندو عام 1914 وعملاً سوياً ما يزيد على ثلثين عاماً لتحقيق هذا الوعي والإرادة على الأرض.

اليوم، في أوائل القرن الحادي والعشرين، نجد الآلاف حول العالم يعُدُون شري أوروبيندو والأم من ضمن أعظم الشخصيات الروحية في تاريخ الإنسانية، ونجد عدد الذين يستمدون الهداية من تعليمهما في ازدياد مطرد، ونجد أعمالهما وقد ترجمت إلى معظم لغات العالم الرئيسية، ونشهد كتاباً ورسائل جامعية ومحطات إذاعية وأغاني وأفلام تكرس لهما، ونرى مجتمعات متعددة في بقاع مختلفة من العالم تتبنّى فلسفتهم وتعاليمهما، أهمها المدينة الدولية أوروفيل² الناشئة في جنوب الهند. لكل هذه الأسباب، ولأسباب أخرى كثيرة، يرى المترجم أن الأوان قد آن لكي يدخل شري أوروبيندو والأم مجال وعي القارئ العربي.

نشهد اليوم وعي الوحدة الشاملة التي نادى بها شري أوروبيندو والأم يتخلل الكرة الأرضية بسرعة متنامية. علامات هذه الوحدة بينة وجليّة، ونحن نخربها كل يوم في السياسة والاقتصاد، في التقنيات والعلوم، على الشبكة العنكبوتية ووسائل الإعلام، في الثقافة والرياضة، وحتى في الأزياء والتلفيف. كما نشهد انمائياً ونمذج جديدة للحياة ومعاملات بين الناس وقد حسنت نوعية الحياة في البلاد المتقدمة إلى درجة لم تكن تخطر على بال من قبل. وقد أصبح انتشار هذا الوعي وهذه التطورات الإيجابية بحيث يشمل الأرض بأكملها يمثل الأمل الوحيد في إمكانية إنقاذ العالم من المشاكل الجسمية التي ما زالت تحاصره: الحرب وتدھور البيئة والظلم الاجتماعي والجوع والأصولية والتطرف.



يمكنا أن نجد أحد الأدوية الفعالة لعلاج الأصولية والظلم والعنف في الفكر الهندي الذي وهب الإنسانية على مدى آلاف السنين أسمى مبادئ وحدة الوجود وأسطع نماذج التسامح والتعايش السلمي. ولأن الفكر الهندي يرى الألوهية في كل مكان وفي جميع الكائنات، فقد نادى على الدوام بالاحترام والاعطف والشفقة لا نحو الإنسان الآخر فحسب، ولكن نحو جميع صور الحياة، الجامدة منها والحيّة على حد سواء. كذلك تُعبد الذات الإلهية في الهند لا بصفتها **الخالق القادر** على كل شيء فحسب، بل أيضاً بصفتها الأم الكونية التي ترعى جميع مخلوقاتها وتراهم جزءاً من كيانها. ومن منطلق هذه النظرة، يصبح العنف في جميع أشكاله عفياً ضد الأم الإلهية نفسها ويصبح موقف الإنسان تجاه الإلهية لا موقف إجلال ورهبة فحسب، بل، وقبل كل شيء، موقف حب وعبادة صادرة من القلب. ومع أن تعاليم شري أوروبيندو والأم تتبنّى على الفكر الهندي، إلا أنها لا تتوقف عنده، بل تُوَلِّفُه مع أسمى ما في الفكر الغربي من معانٍ وتمزج ذلك كله في رؤية رفيعة تهدف إلى تحقيق السماء على الأرض..

تتحول تعاليم شري أوروبيندو والأم، المعروفة باسم "اليوجا المتكاملة"، حول وعي جديد وعلم نفس تطبيقي³ لا علاقة لهم بالإيديولوجيات الدينية⁴ أو بالزهد في الدنيا أو بالغيبيات. وهي ترى أن الإنسان

¹ عنوان أحد أهم أعمال شري أوروبيندو

² انظر: www.auroville.org

³ "اليوجا ما هي إلا علم نفس تطبيقي"، شري أوروبيندو، مكتبة الميلاد المنوي لشري أوروبيندو 39: 20

⁴ "أستطيع أن أقول أن ترويج أي دين بين البشر ، جيداً أكان أم قيماً، بعيد عن غايتي للمستقبل. تمديد طريق قد تراكمت فيه العقبات وليس

تأسيس دين، هذا هو تصوري لهذه الغاية." ، شري أوروبيندو، "عن نفسه" ، 1935، ص 25

كائن انتقالي يتتطور تدريجياً إلى ما بعد الإنسان أو "السوبرمان"⁵، وترى أن الإنسان قادر على أن يساهم واعياً في تطوره الذاتي وارتقاءه وحتى على إسراع هذا التطور. وهي تعليم تهدف إلى تحويل الإنسان إلى كائن أكثر سماً ونبلاء، وتؤكد أن هذا التحول يمكن أن يتم بصورة منهجية ولا يحتاج إلى أي قوى غيبية أو "معجزات" لتحقيقه. فكما أن عالم الطبيعيات يكتشف القوانين التي تحكم أعمال الطبيعة الظاهرة ويستخدمها لتغيير العالم، فإن اليوجا تكتشف القوانين التي تحكم الأعمال الباطنية للطبيعة وتستغلها لتنمية الإنسان وتحويله روحاً. ومع أن تحويل الطبيعة البشرية كان يعد مستحيلاً في الماضي، وعلى الرغم من كونه بالفعل على قدر عظيم من الصعوبة، إلا أنه، حسب تعليم شري أوروبيندو والأم، ممكن، على الأقل إلى درجة تأتي ببعض النتائج الملمسة في خلال حياة بشرية واحدة.

اليوجا المتكاملة تتطلب وهب النفس إلى الألوهية، وإعداداً طورياً وتربيبة شاملة للكيان، وإخلاصاً، وقوة عزيمة وتصميماً لا يعرف التشتت. ومن الواضح أن هذه أمور لا يمكن تحقيقها بين عشية وضحاها، ولكن صعوبتها، لحسن الحظ، لا تسرى إلا في المراحل الأولى من الممارسة. فقد شهد كثيرون من مارسوا اليوجا المتكاملة بإخلاص ولفتره كافية أنه، بالقدر الذي تم به تحول طبيعتهم، فإن قوة نفوق قوتهم تكفلت بتحقيق تطورهم، بحيث أصبحت الممارسة، في المراحل المتقدمة، تقليداً هائلاً وتلقائياً من "نور إلى نور" ومن "بهجة إلى بهجة".

هدف اليوجا المتكاملة ليس الهروب من هذا العالم إلى عالم سلام وهناء في مكان آخر، ولكن تحويل الحياة نفسها من حياة بؤس وعنف وحزن وألم إلى "حياة إلهية". وهي لا تخط طريقاً واحداً ينبغي على الجميع أن يسلكه، ولكن تمكن كل فرد من تنمية وإتباع طريقه الذاتي مهتماً بنوره الداخلي. وهي لا ت redund بمكاسب في هذه الحياة أو في حياة ثلثها، وإن كانت مكاسب لا تخطر على بال ولا يمكن احتسابها ستائياً لا محالة.



القراء الذين سيتمكنون من تقدير أعمال شري أوروبيندو والأم حق قدرها والانتفاع بها كل النفع، هم القراء القادرون على رؤية أن **الحقيقة المطلقة لها أوجه عديدة**، والذين هم لذلك قادرون على قبول ما هو حق في آراء مغايرة لأرائهم. وذلك يتطلب بدوره أن يكون ذهن القارئ سلساً ومرناً بدرجة تسمح له بأن يرى أن نفس الكلمات قد تحمل معانٍ متغيرة حسب السياق الذي تأتي فيه وعلى ما إذا كانت مقصودة بمفهوم حرفي أو مجازي أو شاعري.

لا تكشف أعمال شري أوروبيندو والأم كل ما فيها من معرفة عند القراءة أولى أو تصفح متسرع، وكثيراً ما يلزم على المرء أن يعيد قراءة بعض النصوص ليتيح لنفسه الوقت الكافي للفهم والاستيعاب. ولذلك فإن قراءتها هي أشبه بدراسة ينفق الدارس فيها بعض الوقت في البدء للتعرف على المبادئ والمصطلحات.⁶

سيلاحظ القراء الذين يسلكون هذا الطريق تغيراً محسوساً في وعيهم الذاتي، و كنتيجة لذلك تغيراً إيجابياً في حياتهم. سوف يجدون أنهم يتبعون بحثهم ورحلتهم متحررين من الخوف والشك. وأنهم أصبحوا يميزون بين ما له وما ليس له قيمة، سيقدرون على النظر باتسامة على مشاكل الحياة التي كان حلها يبدو لهم حتى الآن بعيداً عن المتناول. سيتعلمون كيف يعملون بطاقة أكبر، وكيف يجدون سعادة في كل عمل يقومون به، وكيف يستمدون بهجة عظيمة من أشياء كانوا بالكاد يلحظونها سابقاً. سيجدون أن احتياجاتهم المادية تضاءلت وأنهم مع ذلك أصبحوا قادرين على أن يحيطوا أنفسهم بالجمال والوفرة، وأن يسبغوا على حياتهم البشر والدعة والسمو والمعنى. وسيكتشفون أن السعادة التي يحصلون عليها من البذل والعطاء تفوق بمراحل المباھج والمتتع التي كانوا متثنين بها وكانوا يتطلبونها من الحياة ومن الآخرين. وسيخبرون كيف ينعكس الهدوء والسلام المتأميان بداخلهم بصورة إيجابية على صحتهم، وكيف أنهم أصبحوا قادرين لا فقط على تجنب، بل أيضاً على شفاء الكثير من العلل الصغيرة التي كانت تسبب لهم قدرأً كبيراً من الضيق والإزعاج. وكل ما سيحتاجونه لهذا الشفاء هو الهدوء والتركيز والإيمان. وأخيراً سيتوصلون إلى قدرة أعظم للتغلب

⁵ الكائن الذي سيحل محل الإنسان في التطور الطبيعي الذي تنبأ به شري أوروبيندو والذي سيتخطى عقله حدود العقل الحالي ليصل إلى مستوى السوبرمانيد* وهو معرفة الوحدانية المطلقة الكامنة في تعدد لانهائي.

⁶ هناك قاموس للمصطلحات في مكان آخر من هذا الموقع.

على نواحي الضعف وعلى بؤر المقاومة في أنفسهم، وللتعرف على مغزى الأشياء التي تصادفهم وعلى النعمة الكامنة وراء كل خطوة من خطوات حياتهم.

عندما نلبي النداء وتتبع مخلصين طريقنا نصل يوماً ما إلى **الحقيقة الأسمى**، حتى لو كنا أطلقنا عليها أسماء مختلفة وانتهينا نحوها سبلاً متعددة. ونفهم أخيراً أننا جميعاً لسنا إلا أوجه وتجليات مختلفة لهذه **الحقيقة الواحدة والمتحدة**، وأننا لذلك مؤهلون وقدرون على أن نعيشها في أنفسنا وأن نظهرها في حياتنا.

2 - اعتبارات خاصة بترجمة شري أوروبيندو إلى العربية

من المهم التعرف على بعض المصطلحات التي تتخذ معانٍ ومفاهيم خاصة في كتابات شري أوروبيندو والأم، على سبيل المثال: الألوهية، التحول، التشكيل الفكري، التطلع، الكيان الحيوي، الكيان السيكي، والوعي التحتي. ومن المهم أيضاً التعرف على بعض المصطلحات ابتكرها شري أوروبيندو للتعبير عن أفكار ومعاني جديدة ابتكرها، مثل ذلك: سوبرمايند: supermind، أوفرمايند: Overmind. هذه المصطلحات مشروحة في قاموس المصطلحات المنشور في موضع آخر من هذه الصفحة.

ينصح شري أوروبيندو والأم بالمرونة في استنباط وحدس معانٍ المصطلحات كما يتضح من الاقتباسات التالية:

"المعنى يجب أن يؤخذ من السياق، إذ أن التعريف يقيّد المعنى. [والمؤلف الذي يكتب] في مواضيع روحية، يستطيع أن يلمح إلى المعنى ولا يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك".
شري أوروبيندو، محادثات مع شري أوروبيندو، 11 مارس 1940

"... الكلمات ما هي إلا تعبير وترجمة ركيكة لا عن الفكرة فحسب، بل عما يتخطى الفكرة، أي عن المبدأ... لا يهم كثيراً لو استخدمنا هذه الكلمات أم تلك، (فكل يستخدم الكلمات الأكثر ملائمة بالنسبة له)..."
الأم، أجندَة الأم، فبراير 28، 1968



من أهم المصطلحات التي يستخدمها شري أوروبيندو والأم مصطلح The Divine للتعبير عن الذات الإلهية وأيضاً عن الألوهية:

1) للتعبير عن الذات الإلهية: كما يتضح من هذا التعريف:
"The Divine هو الكائن والروح المتعالي، لا مثيل له، كلُّه نعيم ونور ومعرفة إلهية وقدرة..."
شري أوروبيندو، مكتبة الميلاد المنيوي لشري أوروبيندو [509:23]

وفي نص آخر:
"The Divine هو الحقيقة الأسمى لأنَّه الكائن الأسمى، ومنه أنت وفيه توجد جميع الأشياء والكائنات".
شري أوروبيندو، مكتبة الميلاد المنيوي لشري أوروبيندو [1081:23]

2) للتعبير عن الألوهية في صفاتها وخصائصها، كما يتضح من النص التالي للأم:
"... هذا هو ما نعنيه بكلمة Divine: كل المعرفة التي يجب أن نكتسبها، كل القدرة التي يجب أن نخوضها، كل الكمال الذي يجب أن نبلغه، كل الحب الذي يجب أن نصير إليه، كل التوازن المتتسق والمتتطور الذي يجب أن نتحققه ونظهره في النور والبهجة، وكل الروائع الجديدة والتي لا تخطر على بال التي يجب أن نتحققها".

الأم، كلمات الأم، الأعمال الكاملة، مجلد 14، 7 سبتمبر 1952

استناداً على الاقتباسات المذكورة، سيُترجم مصطلح The Divine إما "بالذات الإلهية" أو بـ "الإلهية" حسب السياق.



وأخيراً ترجم قواميس كثيرة مصطلح "The Subconscious" بـ "العقل الباطن"، وحيث أن شري أوروبيندو والأم يتحدثان عن أنواع مختلفة من الوعي الباطن، لم يجد المترجم خيراً من مصطلح "الوعي التحتي" للدلالة على "The Subconscious".



عسى أن يجد القارئ العربي في كلمات شري أوروبيندو والأم من الهدایة والقوة والسعادة ما وجدت، بل ما يزيد على ذلك كثيراً.....

د. زكريا ممدوح مرسي
فبراير 2012